كذا اي ما نطاقتي وقوتي كقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها
قاله ابن عباس • وعنه ايضا لموسعون الرزق على خلقنا وقيل ذو سعة
قال الضحاك اغنياء دليله قوله تعالى على الموسع قدره • قال ابن الخطيب
ويجوز ان يكون من السعة اي اوسعناها بحيث صارت الارض وما
يحيط بها من الما والهوا بالنسبة الى سعتها داخلة فيها والبنا الواسع
الفضا عجيب فان القبة الواسعة لا يقدر عليها البناؤون لانهم
يحتاجون الى اقامة آلة يصح بها استدارتها ويثبت بها تماسك
اجزائها الى ان يتصل بعضها ببعض فقوله وانا لموسعون بيان
للاعراب **فصل** والحكمة في كثرة ذكر البنا في السموات لقوله تعالى
والسما وما بناها وقوله ام السما بناها وقوله والسما بناء ان السما باق
الى قيام الساعة لم يسقط منها شي ولم يعدم منها جزء • واما الارض
فهي في التبدل والتغير كالفرش الذي يبسط ويطوى وينقل والسما
كالبنا المبني الثابت كما اشار اليه بقوله سبعا شدادا • واما الاراضي
فكم صارت بحرا وعادت ارضا من وقت حدوثها • وايضا فالسما
كالقبة المبنية فوق الرؤس والارض مبسوطة مدحوة وذكر البنا
بالمرفوع اليق كقوله تعالى رفع سمكها • وقال بعض الحكما مسكن الارواح
والارض موضع الاعمال والمسكن اليق لكونه بنا والله اعلم • فان
قيل ما الحكمة في تقديم المفعول على الفعل ولو قال وبنينا السما
بايد كان اوجز • فالجواب قال ابن الخطيب لان الصنع قبل الصانع
عند الناظر في المعرفة فلما كان المقصود اثبات العلم بالصانع قدم
الدليل قال والسما المبنية التي لا تشكون في بنيانها فاعرفوا با
نيها ان كنتم لا تعرفونه • فان قيل اذا كان اثبات التوحيد فكيف
قال بنيناها ولم يقل بنيتها ولا بناها الله • فالجواب ان قوله
بنيناها ادل على عدم الشريك لان الشركة ضعيفة فان الشريك يمنع
شريكه عن التصرف والاستبداد • وقوله بنيناها يدل على العظمة
وبين العظمة والضعف تنافر بين قوله بنينا وبين ان يكون شريك
منافاة • وتقريره ان قوله تعالى بنينا لا يورث ايهاما لان الالهة
التي كانوا يعبدونها هي التي يرجع اليها الضمير لان تلك اما اصنام
منحوتة واما كواكب جعلوا الاصنام على صورها وطبايعها فاما
الاصنام المنحوتة فلا يشكون انها ما بنت من السما شيا واما
الكواكب فهي في السما محتاجة اليها فلا تكون هي بانيها وانما يقال
بنيت لها وجعلت اماكنها فلما توهموا ما قالوا قال بنينا نحن ونحن
غير ما يقولون ويدعونه فلا يصلحون لنا شركا ثم لما بين انه لم
لا يوهم شريكا اصلا لان كل ما هو غير السما فهو محتاج الى السما ودونها
في المرتبة فلا يكون خالقا للسما ولا بانيها فعلم ان المراد
جمع التعظيم فافاد النص عظمة والعظمة انفى للشريك فعلم ان قوله
بنيناها ادل على نفي الشريك من بنيتها وبناها الله • فان قيل لم
لم يقل بنيناها بايدينا كما عملت ايدينا • فالجواب ان ذلك
لفايدة جليلة وهي ان السما لا يخطر ببال احد انها مخلوقة لغير الله
والانعام ليست كذلك فقال هناك عملت ايدينا تصريحا بان
الحيوان مخلوق الله تعالى من غير واسطة ولذلك خلقت بيدي وفي
السما قال بايد من غير اضافة لاستغنا عنها وفيه لطيفة اخرى
وهي ان هناك لما اثبت الاضافة لم يعد الضمير العايد على المفعول
فلم

فلم يقل خلقته بيدي ولا قال عملته ايدينا وقال ههنا بنيناها
لان هناك لم يخطر ببال احد ان الانسان غير مخلوق وان الحيوان
غير معموله فلم يقل خلقته ولا عملته • واما السما فبعض الجهال يزعم انها
غير مجعوله فقال بنيناها بعود الضمير تصريحا بانها مخلوقة **قوله**
والارض فرشناها اي بسطناها ومددناها وفيه دليل على ان خلق
الارض بعد خلق السما لان بنا البيت يكون في العادة قبل الفرش **قوله**
فنعم الماهدون المخصوص بالمدح محذوف لفهم المعنى اي نحن كقوله نعم
العبد • قال ابن عباس معناه الباسطون اي نعم ما وطات لعبادي
قوله ومن كل شي يجوز ان يتعلق بخلقنا اي خلقنا من كل شي زوجين
وان يتعلق بمحذوف على انه حال من زوجين لانه في الاصل صفة له اذ
التقدير خلقنا زوجين ونوعين صنفين مختلفين كالسما والارض والشمس
والقمر الكاينين من كل شي والاول اقوى في المعنى **فصل** المعنى
خلقنا زوجين صنفين ونوعين مختلفين كالسما والارض والشمس والقمر
والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والشتا والصيف والجن
والانس والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والشقاوة
والسعادة والحق والباطل والحلو والمر لعلكم تذكرون فتعلمون
ان خالق الازواج واحد لا شريك له لا يعجز عن حشر الاجساد وجمع الارواح
قوله ففروا الى الله اي فاهربوا من عذابه الى ثوابه بالايمان والطاعة
قال ابن عباس فروا منه اليه واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبد
الله فروا مما سوى الله الى الله اني لكم منه نذير مبين وهذا اشارة الى
الرسالة **قوله** ولا تجعلوا مع الله الها اخر اتماما للتوحيد لان التوحيد
بين التعطيل والتشريك لان المعطل يقول لا اله اصلا والمشرك يقول
بوجود اله اخر والموحد يقول قول الاثنين باطل لان نفي الواحد باطل والقول
بالاثنين باطل فلما قال ولا تجعلوا مع الله الها اخر نفى الاكثر من واحد ونفى
القول بالتوحيد بالايتين ولهذا قال مرتين اني لكم منه نذير مبين اي في
المقامين والموضعين **قوله** كذلك فيه وجهان اظهرهما انه خبر مبتدا
محذوف اي الامر مثل ذلك • قال الزمخشري والاشارة بذلك الى تكذيبهم
الرسول وتسميته ساحرا ومجنونا • ثم فسر ما اجمل بقوله ما اتى
والثاني ان الكاف في محل نصب نعت المصدر محذوف قاله مكي ولم
يبين تقديره ولا يصح ان ينتصب بما بعده لاجل ما النافية • واما
المعنى فلا يمنع ولذلك قال الزمخشري ولا يصح ان يكون الكاف منصوبا
باتى لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يات
لكان صحيحا يعني لو اتي في موضع ما بلم لجاز ان ينتصب الكاف باتى
لان المعنى يسوغ عليه • والتقدير كذبت قريش تكذيبا مثل تكذيب الامم
السالفة رسلهم • ويدل عليه قوله ما اتى الذين من قبلهم الاية **قوله**
الا قالوا الجملة القولية في محل نصب على الحال من الذين من قبلهم ومن
رسول فاعل اتى كانه قيل ما اتى الاولين رسول الا في حال قولهم هو
ساحر • فان قيل ان من الانبيا من قرر دين النبي الذي كان قبله وبقي
القوم على ما كانوا عليه كانبيا بني اسرايل وكيف وادم لما ارسل لم يكذب
فالجواب انا لا نسلم ان المقرر رسول بل هو نبي على دين رسول ومن
كذب رسوله فهو يكذبه ايضا ضرورة • فان قيل قوله ما اتى الذين من
قبلهم من رسول الا قالوا يدل على انهم كلهم قالوا ساحر والامر ليس كذلك
لان ما من رسول الا امن به قوم وهم ما قالوا ذلك • فالجواب ان ذلك

King Saud University
Copyright © King Saud University